مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية
المجلد 5 (2) – 2025: 168-182

Damascus University Journal of Legal Sciences
Vol 5 (2) -2025: 168-182

تصوف الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1883م) وجهوده في خدمة المجتمع الدمشقي

مجد عبد المجيد قمر[1]، أحمد الزبيبي[2]

[1]طالبة [دكتوراه]، قسم العقائد والأديان، كليّة الشريعة، جامعة دمشق.

[2] أستاذ مساعد، قسم العقائد والأديان، كليّة الشريعة، جامعة دمشق.

الملخص:

يكشف هذا البحث عن الجانب الصوفي عند إحدى الشخصيات البارزة في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو الأمير عبد القادر الجزائري (ت: 1883م)، الذي لمع اسمه في الجزائر ببطولاته ضد المستعمر الفرنسي، وفي دمشق بإسهاماته ضمن المجتمع الدمشقي.

وعرّف البحث بدايةً بالتصوف، ثم تطرق لترجمة موجزة للأمير عبد القادر الجزائري، وتصوفه، ثم تناول أهم إنجازات الأمير عبد القادر وجهوده في خدمة المجتمع الدمشقي.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الأمير عبد القادر الجزائري، المجتمع الدمشقي، القرن التاسع عشر.

تاريخ الايداع: 2022/10/19
تاريخ القبول: 2023/1/2

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب
CC BY-NC-SA

ISSN: 2789-7621 (online)
https://journal.damascusuniversity.edu.sy

The Sufism of Prince Abd-Al Qader Al-jazaery and his Efforts in Serving the Damascens Society

Majd Abdul Majeed Qamar[1], Ahmed Al-Zubaidi[2]

[1]PhD student, Department of Beliefs and Religions, Faculty of Sharia, University of Damascus.

[2] Assistant Professor, Department of Beliefs and Religions, Faculty of Sharia, University of Damascus.

Received: 19/10/2022
Accepted: 2/1/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

Abstract:

This research shows the mystical side of one of the eminent figures of the ninteenth century AD, Prince Abd-Al Qader Al-jazaery, who made his name shine in Algeria with his heroism against the French colonialism, and in Damascus with his contributions within the Damascene society. Firstly, The research defined Sufism, then indicated a brief biography about prince Abd-Al Qader Al-jazaery and his mysticism. In addition it deals with the most important achievements of prince Abd al-Qadir and his efforts in serving the Damascene society.

Key Words: Sufism, Prince Abd-Al Qader Al-Jazaery, Damascene Society, Ninteenth Century.

بسم الله الرحمن الرحيم

1- المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين وأتمّ الصلاة وأفضل التسليم على سيدنا محمّد سيد الخلق والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقد احتضنت دمشق جملة من أعيان الصوفية، ممن كان لهم دور كبير في خدمة المجتمع الدمشقي من النواحي الفكرية والسلوكية والاجتماعية، ومن هؤلاء شخصية ذاع صيتها، وأثّرت في المجتمع الدمشقي، وهي شخصيَّة الأمير عبد القادر الجزائري (ت:1883م)، الذي يشهد له العالم بغنى المآثر، والذي أثار كفاحه البطوليُّ في الجزائر ضدّ فرنسا الغازية إعجاباً كبيراً في أنحاء العالم والدُّول الأوروبيَّة كافَّة.

الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان حاضراً في دمشق بعلمه وتسامحه ونشاطاته الاجتماعية الواسعة المدى، والذي كان بحق من أهم مجدِّدي التَّصوُّف في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي.

2- أهميّة البحث:

تأتي أهميّة البحث من كونه يبرز جانباً مهماً في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، وهو تصوفه، الذي ظهرت ثماره لدى الأمير في دمشق جلية، وخاصة أن الأمير عبد القادر كان صلة وصل بين التصوف المشرقي والمغربي، علاوة عن أن أثر وجوده في دمشق لا يزال حاضرا إلى يومنا هذا..

3- مشكلة البحث

يحاول البحث معالجة فكرة التصوف الاجتماعي، ومدى تأثير الصوفية في نهضة المجتمع، من خلال اختيار نموذج لذلك وهو تصوف الأمير عبد القادر الجزائري وجهوده في خدمة المجتمع الدمشقي.

4- أسئلة البحث:

1. ما هي الملامح الفكرية لتصوف الأمير عبد القادر الجزائري؟
2. هل ساهم الأمير عبد القادر الجزائري في النهضة العلمية في المجتمع الدمشقي؟
3. هل استطاع الأمير عبد القادر أن يشارك في حل المشكلات الاجتماعية في المجتمع الدمشقي؟

5- هدف البحث: يهدف البحث إلى:

1. توضيح الملامح الفكرية لتصوف الأمير عبد القادر الجزائري؟
2. بيان مساهمة الأمير عبد القادر الجزائري في النهضة العلمية في المجتمع الدمشقي؟
3. ذكر مشاركة الأمير عبد القادر في حل المشكلات الاجتماعية في المجتمع الدمشقي؟

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج التاريخي؛ حيث قمت بجمع المادة العلمية المتعلقة بتصوف من مراجعها الأصلية من كتب التراجم والتاريخ، ومن ثم نقدتها خارجيًا بالتأكد من صحتها وصدقيتها التاريخية، وبعد ذلك قمت بتحليل المعلومة، واستخراج الصورة الدقيقة عن تصوف الأمير الجزائري وخدماته في دمشق.

4- خطة البحث:

يشتمل هذه البحث على مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي: المقدّمة: تتضمن أهمية البحث، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وهدف البحث، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه تعريف التصوف.

المطلب الأول: نبذة عن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري

المطلب الثاني: انتساب الأمير عبد القادر الجزائري إلى الطرق الصوفية

المطلب الثالث: ملامح تصوف الأمير عبد القادر الجزائري:

المطلب الرابع: جهود الأمير عبد القادر الجزائري في خدمة المجتمع الدمشقي

ثم **خاتمة:** تتضمن نتائج البحث.

التمهيد: تعريف التصوف:

لعل مصطلح التصوف من أكثر المصطلحات التي تعددت تعريفاتها، بل ربما يتعدد التعريف عند العارف الواحد[1]. ولعل الاختلاف في تعريف التصوف ليس اضطراباً في حقيقة المصطلح، بل تنوعاً لأثره على الفرد، يدلنا على ذلك أن ماورد عن مفهوم التصوف لا يعارض بعضه بعضاً فإنه "وإن كانت هذه الألفاظ متغيرة في الظاهر، فإن المعاني متفقة"[2] .

ويمكن تصنيف ماورد عن مفهوم التصوف حسب السمة العامة والفكرة التي يدور حولها المصطلح، لنجد أن بعض التعريفات اصطبغت بفكرة الأخلاق الكريمة والتحلي بها، وبعضها الآخر ارتبط بفكرة الزهد المورث للحرية المنشودة للصوفي، وبعضها ارتبط بفكرة العبادة والطاعة..

فمن التعريفات التي انطلقت من مبدأ أخلاقي قولهم: التصوف: "الدخول في كل خلق سني، والخروج عن كل خلق دني"[3].

أما التعريفات التي دارت حول فكرة الزهد فمنها أن التصوف هو: "أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة[4]". ومن التعريفات التي دارت حول العبادة والطاعة: أنه سئل أحدهم عن معنى الصوفي فقال: "معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية، وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية، نزل منازل الحقيقة، وقارن أحكام الشريعة، فإذا فعل ذلك فهو صوفي؛ لأنه قد صوفي"[5].

وإذا أردنا أن نتتبع تلك التعريفات فلن يسعها هذا البحث، لكنها مبسوطة في كتب القوم.

المطلب الأول: نبذة عن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري

لابد قبل الحديث عن تصوف الأمير عبد القادر من تقديم نبذة عن حياته، وهو ما سأبينه فيما يأتي:

أولاً: اسمُه ونسبُه:

هو عبد القادر بن محي الدِّين بن مصطفى، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ[6]، وقد كان أجداده من العلماء والزُّهَّاد[7].

---

(1) – انظر هذه التعريفات: الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص/ 9).

(2) – الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص/ 8).

(3) – وهو تعريف الجريري للتصوف. انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، (ص/465). والطوسي: اللمع، (ص/ 25).

(4) – وهو تعريف الجنيد. القشيري: الرسالة القشيرية، (ص/465). و الطوسي: اللمع، (ص/ 25). وبلا علاقة، أي بلا تعلق بالأغيار.

(5) –الطوسي: اللمع، (ص/25).

(6) – انظر سلسلة النسب: عبد المجيد الخاني، الكواكب الدرية، (ص/ 771)، وانظر: بديعة الحسني، ناصر الدين، (ص/ 32).

(7) – أما أصل أسرته فمن المغرب الأقصى، هاجرت من هناك إلى نواحي (وَهران)، واشتهر رجال منها بالورع وكانوا قدوة للنَّاس. انظر: الحافظ وأباظة، علماء دمشق، (2/ 788).

ثانياً: ولادتُه ونشأتُه:

ولد الأمير في (القَيطَنة) من أعمال مدينة (مُعَسْكَر) ، بالمغرب الأوسط، يوم الجمعة في رجب سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف[8].

ومنذ أن كان الأمير عبد القادر طفلاً لفت نظر والده بذكائه ونبوغه، فقد ختم القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره، وأتقن القراءة والكتابة وهو في سنٍّ مبكِّرة، وأصبح فارساً يشار إليه، وبرع في تلقِّي العلوم التَّاريخية والفلسفيَّة والفقهيَّة[9].

وحين مرَّت الجزائر بأيَّامها العصيبة تحت سيطرة الاستعمار الفرنسيّ، التفَّ أهل الجزائر حول محي الدين والد الأمير عبد القادر، لما علموه من علمه وبسالته، ولما له من أعوان وأنصار على نصرة المظلوم، فطلبوا منه إمَّا أن يقبل بيعتهم لنفسه أو لولده عبد القادر، لكنَّه اختار ولده عبد القادر[10].

وفي الثَّالث من رجب سنة 1248هـ الموافق لـ: 27 تشرين الثاني 1832م: أقبلت جماهير الشَّعب الجزائريّ من رؤساء القبائل وأعيان المدن والأشراف والعلماء لمبايعة الأمير عبد القادر، وبايعوه جميعاً سلطاناً عليهم، فرفض لقب السُّلطان، وقبل بلقب (أمير) اقتداء بالخلفاء الرَّاشدين رضي الله عنهم.

وبعد هذه البيعة الشَّعبية حمل الأمير عبد القادر مسؤوليَّة الحكم، وامتدَّ سلطانه إثر معارك دامية حتى شمل ثلاثة أرباع القطر الجزائريّ، وبعد أن استقام له الأمر شرع في تنظيم الدولة النُّواة، وتشكيل الكوادر الحكوميَّة، فعيَّن الأكفاء واعتمد الفقه الإسلاميَّ نظاماً لحكمه وبناء الدَّولة والجهاد في سبيل الوطن ضدَّ المستعمر الفرنسيّ[11]، وقد كانت مدَّة توليته الإمارة سبعة عشر عاماً[12].

فنهض وقاتل الفرنسين وخاض عدداً من المعارك ضدهم، مما حدا بفرنسا إلى طلب معاهدة صلح بعد سنة 1834م، تفرغ الأمير أثناءها للإصلاح الداخلي، فضرب نقوداً سماها "المحمدية"، وأنشأ مصانع للأسلحة وملابس للجند وغير ذلك[13]...

وقد خاض خلال تلك الحرب معارك عدة ذكرها أغلب من ترجم للأمير[14]، وهكذا بقي مقاوماً مجاهداً إلى أن نفي من الجزائر إلى مدينة "أمبواز" في فرنسا، ومنها إلى دمشق ليستقر بها أخيراً[15]..

المطلب الثاني: انتساب الأمير عبد القادر الجزائري إلى الطرق الصوفية

إنَّ تصوُّف الأمير عبد القادر الجزائري مما اشتهر عنه، فقد كان مرافقاً له منذ نشأته؛ إذ نشأ في زاوية والده محي الدين شيخ الطَّريقة القادريَّة[16]، والذي امتدَّ إشعاع زاويته في المغرب الأقصى.

أما تأثر الأمير بالشيخ محي الدين بن عربي (ت: 638هـ)[17] فقد ازدادت رسوخاً عندما صحب محي الدين وابنه عبد القادر – وهو في نحو العشرين من عمره– الشيخ خالد النقشبندي (ت:1242هـ)[18]، إمام الطَّريقة النَّقشبنديَّة[19]، وذلك خلال إقامتهما في دمشق إثر حجَّهما، وهناك زارا ضريح الشَّيخ محي الدِّين لأوَّل مرَّة[20].

---

[8] – انظر: عبد المجيد الخاني، الكواكب الدرية، (ص/ 771).

[9]– انظر: بديعة الجزائري، ناصر الدين، (ص/ 34).

[10] – انظر: أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 35)، وانظر: البيطار، حلية البشر، (ص/ 889).

[11] انظر تفاصيل دقيقة في بناء دولة الأمير عبد القادر في الجزائر، والمعارك الكثيرة التي خاضها ضد المستعمر الفرنسي. بديعة الجزائري: ناصر الدين، (ص/ 39–152). وانظر: أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 39).

[12] – انظر: أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 42).

[13] – انظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، (ص/103).

[14]ومن أهمها: معركة المقطع – معركة مدينة "معسكر" عاصمة الأمير–معركة ضفاف نهر تافنا التي نتج عنها معاهدة تافنا 1837م– معركة وادي الزيتون–معركتا إلة وهران، ومتيجة، وهزيمة الجنرال بيجو–معركة مستغانم وانتصار المجاهدين فيها–معركة حصن داكمت وانصار المجاهدين فيها–هزيمة الجنرال بيجو في مضيق عقبة خده– معركة مضيق غربوس– معركة تخوم بني عامر. انظر تفاصيل هذه المعارك في كتاب الأميرة بديعة الجزائري: الأمير عبد القادر الجزائري، (ص 52– 96).

[15]انظر تفاصيل ذلك. الأمير أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر الجزائري، (ص/ 69، 79).

[16]وهي الطريقة التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 561هـ) الذي ولد في جيلان سنة 470هـ، ورحل إلى بغداد سنة 478هـ، وقد نشر تلاميذه طريقته في عدة بلدان إسلامية كاليمن وسوريا ومصر، وانتقلت بعد ذلك إلى الهند، ثم إلى بقية بلدان العالم الإسلامي. انظر: أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف، (ص/ 236).

كما أخذ الأمير الطَّريقة النَّقشبنديَّة عن الشَّيخ خالد النَّقشبنديّ، وفيما يلي نصٌّ لأحد الملازمين للأمير؛ وهو الشَّيخ عبد المجيد الخاني (ت: 1318هـ)[21]، إذ يقول: " ثم جاءا[22] إلى دمشق الشَّام، بصحبة ركب الحجِّ الشَّامي، وكان عامئذ في الرَّكب حضرة مولانا خالد – قدَّس الله سرَّه العزيز – فاجتمعا عليه في بلدة (معان) راجعين من مكَّة، ولمَّا قدما إلى الشَّام أخذا منه الإذن في الطَّريقة العليَّة النَّقشبنديَّة"[23]. أما الطَّريقة الشَّاذليَّة[24] فقد أخذها الأمير عن الشَّيخ محمد الفاسي (ت:1289)[25]؛ ففي سنة 1279هـ توجَّه الأمير عبد القادر إلى الحجاز، وبقي هناك سنة يقيم بمكَّة تارة وبالمدينة تارة أخرى، إلى أن صادف بمكَّة الشَّيخ محمَّد الفاسي، فأخذ عنه الإذن بالطَّريقة الشَّاذليَّة.

وبعدها لزم الأمير شيخه في الحرمين الشَّريفين؛ حيث قضى عاماً ونصف عام متجرِّداً للذِّكر والتَّوجُّه والعبادة، في خلوات كانت أولاها في غار حراء، ثم ذهب إلى الطَّائف معتكفاً مدَّة ثلاثة شهور، ثمَّ في أواخر رجب من عام 1280هـ، أي بعد عام من وصوله إلى الحجاز، استقرَّ في المدينة المنوَّرة، فشرع في خلوة أخرى دامت شهرين[26].

المطلب الثالث: ملامح تصوف الأمير عبد القادر الجزائري:

إن صلة الأمير بالتَّصوُّف كانت على ثلاث مراحل كما يتبين ذلك لمن يتتبع سيرته[27]:

المرحلة الأولى: هي التي سافر فيها إلى بغداد مع والده السَّيِّد محي الدين بعد أداء فريضة الحج سنة 1241هـ، حيث زار فيها ضريح الشَّيخ عبد القادر الجيلانيّ (561هـ) [28]، وأخذ الإجازة بالطَّريقة القادريَّة عن الشَّيخ محمود القادري[29]، نقيب الأشراف.

والمرحلة الثَّانية هي التي كانت في السِّجن أو على الأصحِّ في خلوة (أمبواز) في فرنسا.

أما المرحلة الثَّالثة: فهي التي تم فيها "الفتح العظيم" كما يصفه الدُّكتور جواد المرابط، وكان ذلك عندما سافر حاجاً سنة 1279هـ، حيث أقام في مكَّة سنة ونصف، مقبلاً على العبادة والخلوة، التقى فيها بالشَّيخ محمد الفاسي، رئيس الطَّريقة الشَّاذليَّة، وتتلمذ

---

[17]محمد بن علي بن محمد (ت: 638هـ) الحاتمي الطائي أبو بكر، الشهير بالشيخ محيي الدين بن العربي، سلطان العارفين، صحب: أبا مدين الغوث، ويوسف الكرمي العبسي، أخذ عن: عبد الحق الإشبيلي، وابن زرقون، وغيرهم، من كتبه: الفتوحات المكية، وروح القدس، وغيرهم. انظر: التليدي، المطرب، (ص/115-121)

[18]خالد بن أحمد، (ت: 1242 هـ) أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي المجددي، أحد كبار الصُوفية في عصره، ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور)، وهاجر إلى بغداد كما رحل إلى الشَّام وتوفي في دمشق بالطاعون. من كتبه (شرح مقامات الحريري)، و (شرح العقائد العضدية) ورسالة في إثبات مسألة الإرادة الجزئية واسمها (العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري) و(جلاء الأكدار) وغيرها. انظر: الزِّركلي، الأعلام، (2/ 294).

[19]الطريقة النقشبندية تنسب إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند، وهو الذي أخذت الطريقة اسمها منه، وكلمة نقشبند مؤلفة من جزأين: الأول (نقش) وهو صورة الطابع إذا طبع به على شمع أو نحوه، و(بند) ومعناه ربط وبقاء من غير محو، فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه. انظر: محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، (ص/ 11، 18).

[20]انظر عبد الباقي مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، (ص/ 222، 223).

[21]عبد المجيد بن محمد، (ت: 1318 هـ) الخاني الشافعي النقشبندي، عالم صوفي، لازم الشيخ محمد الطنطاوي فسمع منه أكثر الفتوحات المكية، وسمع أيضاً من الأمير عبد القادر الجزائري أكثر صحيح البخاري، أخرج ديواناً ضخماً باسم (وجه الحل في جهد المقل)، ومن مؤلفاته كتاب (الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية). انظر: الحافظ، وأباظة، تاريخ علماء دمشق، (1/ 181).

[22] أي الأمير عبد القادر ووالده محي الدين.

[23]الخاني: الكواكب الدرية، (ص/ 772).

[24]هي الطريقة المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأصله من "شاذلة" بتونس، وفد إلى مصر ومعه جملة من مريديه واستوطنوا الإسكندرية سنة 642هـ، ثم كونوا مدرسة صوفية مشهورة بها، ومن أبرز الأعلام الذين خلفوا الشيخ أبي الحسن في الطريقة الشاذلية: الشيخ أبو العباس المرسي والشيخ ابن عطاء الله السكندري، اللذين نشروا الطريقة الشاذلية فيما بعد. انظر: أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف، (ص/ 240).

[25] (محمد بن محمد، ت:1289هـ) العلامة المربي، مؤسس الطريقة الشاذلية الفاسية، ولد بفاس في المغرب، من جملة مشايخه: العباس أبو سودة بن مرة، قرأ عليه الفقه المالكي، والشيخ عبد السلام البرعي قرأ عليه التفسير والحديث وغيرها، والشيخ الزرهوني قرأ عليه كتب السيَر، والشيخ عبد السلام بن موسى قرأ عليه اللغة العربية، والشيخ التهامي بن حمادي قرأ عليه الرسالة القشيرية وغيرها من كتب التصوف، ومن أشهر تلامذته: الأمير عبد القادر الجزائري، توفي في مكة المكرمة. انظر: الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، (ص/ 18– 184)، وانظر: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، (1/ 372).

[26]عبد الباقي مفتاح: حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، (ص/ 229).

[27]انظر: جواد المرابط، التَّصوُّف والأمير عبد القادر، (ص/ 27، 28).

[28]عبد القادر بن موسى بن عبد الله (ت: 561هـ)، الجيلاني أبو صالح، أحد أقطاب الصوفية الكبار، صحب: أبا الخير حمَّاد، وأبا سعد، وغيرهم، صحبه: أبو الفتح الهروي، وأبو مدين الغوث، وغيرهم. انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، (1/108-113)، والكوهن: طبقات الشاذلية، (ص/77– 78).

[29] ذكره الشيخ عبد الرزاق البيطار في (حلية البشر) فقال: "ولبس الخرقة القادرية من يد الأستاذ نقيب الأشراف وخليفة السيد عبد القادر سيدي السيد محمود القادري ذي الفضل الباهر..." (2/ 888). ولم أقف على غير ذلك من ترجمته.

عليه[30]. ولقد كان التَّصوُّف مرافقاً للأمير منذ نشأته؛ إذ نشأ في زاوية والده محي الدين شيخ الطَّريقة القادريَّة[31]، والذي امتدَّ إشعاع زاويته في المغرب الأقصى.

أما تأثر الأمير بالشيخ محي الدين بن عربي فقد زادت رسوخاً عندما صحب محي الدين وابنه عبد القادر –وهو في نحو العشرين من عمره– الشيَّخ خالد النقشبندي، إمام الطَّريقة النَّقشبنديَّة[32]، وذلك خلال إقامتهما في دمشق إثر حجَّهما، وهناك زارا ضريح الشَّيخ محي الدِّين لأوَّل مرَّة[33].

وبوفاة الوالد محي الدِّين عام 1249هـ، انتقلت خلافة الطَّريقة إلى الأمير عبد القادر وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره حوالي 27 سنة، ولاشتغاله بتكاليف الإمارة والجهاد قام أخوه بشؤون الطَّريقة[34].

وفي ذلك يقول الدُّكتور أبو القاسم سعد الله في (تاريخ الجزائر الثَّقافيّ): "ونحن نعلم أنَّه –يقصد الأمير– قد تربَّى على والده في القيطنة، وتخرَّج من تراث الأسرة والطَّريقة القادريَّة، ومن تراث الحضارة الإسلاميَّة المتمثِّل في المخطوطات الفلسفيَّة والصُّوفيَّة والأدبيَّة والتَّاريخيَّة المخزونة في مكتبة والده، وقد شغلته المقاومة الوطنية سبعة عشر عاماً، ثم سنوات السِّجن بفرنسا حوالي خمس سنوات، وسنوات (بروسا) حوالي ثلاث سنوات" [35].

ولما تزعَّم الأمير الجهاد وحكم البلاد توسَّعت دوائر علاقاته مع شيوخ الطُّرق داخل الجزائر وخارجه، ووجد من شيوخ أغلب الطُّرق الصُّوفيَّة تأييداً لجهاده[36].

ومما يدلُّ على أصالة الطَّابع الصُّوفيّ لدى الأمير أنَّ جهاده المتواصل في (الجزائر) وسعيه الدؤوب للإصلاح في (دمشق) لم يثنياه عن تبتله وعبادته وذكره لربه(37)، وقد كان عاكفاً على حضور صلاة الجماعة في أوقاتها، يلازم صلاة الفجر في المسجد القريب من داره، في حي العمارة (زقاق النقيب)، لا يتخلّف من ذلك إلا لمرض، كثير التهجد والخلوات، كثير الصدقات، يصوم شهر رمضان كله على الكعك والزبيب، ويعتزل الناس كلهم خلاله، وكانت له خلوة يتحنث فيها بقصره في دمر[38].

وفي (دمشق) توسَّعت دوائر علاقات الأمير بشيوخ التَّصوُّف، كما أتيح له في هذه الفترة دراسة كتب الشَّيخ الأكبر محي الدِّين، الَّتي لم يطَّلع عليها من قبل، وكلما ازداد عكوفاً عليها ازداد شغفاً بها، وازدادت العلاقة الرُّوحية بينه وبين الشَّيخ[39].

---

[30] يقول البيطار في (حلية البشر) متحدثاً عن رحلات الأمير ووصوله إلى مكة المكرمة: "وبعد أيام أخذ الطريقة الشاذلية عن العارف بالله الشيخ محمد الفاسي، واختلى مدة في غار حراء، فبلغ مطلوبه ونال مرغوبه....." (2/ 898).

[31] وهي الطريقة التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 561هـ) الذي ولد في جيلان سنة 470هـ، ورحل إلى بغداد سنة 478هـ، وقد نشر تلاميذه طريقته في عدة بلدان إسلامية كاليمن وسوريا ومصر، وانتقلت بعد ذلك إلى الهند، ثم إلى بقية بلدان العالم الإسلامي. انظر: أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف، دار الثقافة/ القاهرة، ط3/ (ص/ 236)، وللاطلاع على تفاصيل هذه الطريقة ينظر: عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر: نشأتها ونظمها وروادها، (ص/ 74).

[32] الطريقة النقشبندية تنسب إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند، وهو الذي أخذت الطريقة اسمها منه، وكلمة نقشبند مؤلفة من جزأين: الأول (نقش) وهو صورة الطابع إذا طبع به على شمع أو نحوه، و(بند) ومعناه ربط وبقاء من غير محو، فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه. انظر: محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، (ص/ 11، 18).

[33] انظر: عبد الباقي مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، (ص/ 222، 223).

[34] واسم أخيه محمد السعيد. انظر: مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، (ص/ 223).

[35] (7/ 118).

[36] ومن أشهر شيوخ الطرق الذين ساندوه في المغرب الشيخ محمد الحراق التطواني (ت: 1261هـ)، شيخ الطريقة الحراقية الدرقاوية الذي خاطبه الأمير في إحدى رسائله بقوله: " فإنا نعلم أنك وجميع المؤمنين متهولون من أمرنا مع الكفار، منتظرون ما يرد عليكم من عندنا من الأخبار ... وما أصابنا من خير فبركتكم ودعائكم ورضاكم عنا ولا تنسونا من صالح دعائكم" مذكرات الأمير عبد القادر، مجلة مسالك، رقم 5، (ص/ 28). ومنهم شيخ الطريقة البودشيشية القادرية المغربي المختار الذي تزعم الجهاد ضد المستعمر الفرنسي في الحدود المغربية الجزائرية، ومنهم في مصر شيخ الأزهر الشيخ محمد عليش وابنه عبد الرحمن. انظر: مفتاح، حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، (ص/ 224).

[37] : انظر: مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر ، (ص/ 225). ومما يذكر: أنه خلال إحدى المعارك تسلل رجل دون أن يراه الحراس إلى خيمة الأمير، وهو منهمك في قراءة القرآن، وعندما سمع صوت الأقدام رفع رأسه فرأى زنجياً طويل القامة، واقفاً أمامه وفي يده خنجر، لكن ما لبث الرجل أن رمى الخنجر وخر فجأة مرتمياً على قدمي الأمير قائلاً: لقد جئت لأطعنك ولكن من1ظرك جردني من سلاحي، فقد رأيت هالة النبي فوق رأسك" ووقف الأمير ببطء دون أن يظهر عليه ملامح التأثر، ووضع يده على رأس الزنجي وقال: لقد دخلت خيمتي قاتلاً وإن الله الذي قد هداك إلى التوبة قد حكم على أن تخرج منها بريئاً" انظر: هنري تشرتشل، حياة الأمير، (ص/ 238– 239).

[38] محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، دار الفكر، دمشق، ط1/ 1991م، (810/2).

[39] انظر: مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر ، (ص/ 227، 228).

فكان له الأثر الكبير بعد ذلك في التجديد في المجتمع الدمشقي كما سنجد.

المطلب الرابع: جهود الأمير عبد القادر الجزائري في خدمة المجتمع الدمشقي

لقد جدد الأمير عبد القادر في المجتمع الدمشقي من عدة نواح؛ فكرية واجتماعية، وقبل أن أذكرها لا بد من الحديث عن دخوله إلى دمشق أولاً، وهو ما سأبينه فيما يأتي:

أولاً: دخول الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق:

في التَّاسع عشر من المحرم سنة 1282هـ[40]: دخل الأمير عبد القادر إلى دمشق التي خرج واليها ومن معه من ذوي المناصب العالية في دمشق، وعلماؤها وأعيانها، إلى (دُمَّر) ليستقبله الجميع هناك.

وقد انتقل إلى دمشق عبر بيروت، وكان الأمير قد زار دمشق برفقة والده قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي دمشق وجد الأمير جوًّا كجوِّ الجزائر، وطبيعة كطبيعة معسكر، وشعباً محبًّاً معجباً بجهاده وقوميَّته، فاحتضنه والتحم الأمير مع أهل الشَّام حتى أصبح واحداً منهم[41].

ثانياً: جهود الأمير عبد القادر الجزائري في خدمة المجتمع الدمشقي:

لابد قبل ذكر هذه النقاط من التنبيه إلى الوضع العام في المجتمع الدمشقي في العصر الذي دخله الأمير، فقد كانت سياسة الدولة العثمانية في طور الانحطاط على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي[42]، كما عاشت دمشق أزمة طائفية عاصرها الأمير عبد القادر في دمشق، نتيجة سياسة الدولة العثمانية وكذلك القوى الأوروبية صاحبة النفوذ في سوريا ولبنان، والتي نتج عنها احتقان بالغ بين الطوائف الدينية، لم يلبث أن انفجر وقت حل الأمير ضيفًا على دمشق[43].

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نلخِّص جهود الأمير في خدمة المجتمع الدمشقي في النقاط الآتية:

1- ربطُ التَّصوُّفِ بالعلمِ والنَّهضةُ العلميَّة الَّتي أحدثها الأمير:

لقد قام الأمير بنهضة علميَّة في دمشق، فلم يكن التَّصوُّف عنده مجرَّد ذوق ووجدان ذاتيٍّ لا يتجاوزه العالم الدَّاخلي للصُّوفيّ؛ بل كان التَّصوُّف عنده تجربة روحيَّة سامية أنتجت ثمارها في المجتمع الدِّمشقيّ آنذاك.

وتتمثَّل النَّهضة العلميَّة التي أحدثها الأمير في وجهين؛ الوجه الأوَّل: هو دروسه التي كان يمليها في أماكن متعدِّدة من دمشق، يقرأ فيها في فنون العلم المتنوِّعة، والوجه الثَّاني: هو مؤلَّفاته التي تركها وأعظمها كتاب (المواقف).

فإذا بدأنا بالجانب الأوَّل: فقد عقد الأمير العديد من مجالس العلم: فقرأ كما يخبرنا صاحب كتاب (تحفة الزَّائر): "(الإتقان في علوم القرآن)، و(الإبريز في مناقب سيِّدي عبد العزيز) في مدرسة الجقمقيَّة[44]، وكتاب (الشِّفا)، و(العقائد النَّسفيَّة) و(صحيح مسلم) في المشهد الحسينيّ، والمشهد السَّفرجلاني[45] من جامع سيِّدي يحيى"[46].

---

[40] في حين يذكر الأمير أحمد أن دخول الأمير عبد القادر إلى دمشق كان في العشرين من ربيع الأول سنة 1272هـ. انظر: الأمير أحمد، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 79).

[41] انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (5/ 537).

[42] انظر مجمل ذلك في مقدمة كتاب: مجتمع مدينة دمشق، ليوسف نعيسة.

[43] انظر: عبد القادر الجزائري(ما أفسده العثمانيون في دمشق يصلحه الأمير)، مقال بقلم خالد أبو هريرة. موقع: https://www.turkeynow.news/

[44] وبها التربة وتجاهها من الشمال خانقاهاً يفضل بينهما الطريق الآخذ إلى المدرستين الظاهرية والعادلية من جهة الغرب، والطريق الآخذ إلى الجامع الأموي وغيره من جهة الشرق، تولى سيف الدين جقمق والي دمشق عمارتها وتحسينها بعد أن احترقت في فتنة دمشق، وإليه تنسب هذه المدرسة، وجعل فيها خانقاهاً للصوفية ومكتباً للأيتام. انظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، (1/ 375).

[45] المشهد هو القاعة أو الجزء المخصص أو المقتطع من الجامع أو المسجد للصلاة أو التدريس أو اللقاءات، أو المكتبات أو المستودعات. والمشهد الحسيني يطلق عليه أيضاً مشهد زين العابدين، وهو في الجهة الشرقية من الجامع الأموي، أما المشهد السفرجلاني فهو مشهد أبي بكر الصديق، وهو في الجامع الأموي إلى عين الداخل من الباب الغربي مباشرة، في الطرف الغربي من الحرم، ويعرف أيضاً بمشهد الجبرتية. انظر: حسن زكي الصواف: الجامع الأموي درة دمشق، (1/ 279)، وانظر محمد الطنطاوي: الجامع الأموي في دمشق، (ص/ 27).

[46] محمد باشا: تحفة الزائر، (2/81، 82).

كما كان بيته في دمشق مركز اجتماع أعيانها لمناقشة المسائل الهامَّة وموئلَ العلماء، وكانت له فيه جلسة خاصة مع كبارهم يفسِّر فيها من الآيات الكريمة والأحاديث الشَّريفة وأقوال السَّلف الصَّالحين رضي الله عنهم، على طريقته الخاصَّة التي أعجبت الكثيرين، فرجوه أن يسجِّل آراءه في كتاب، فكان كتاب (المواقف)[47].

2- الربط بين تدريس (الفتوحات المكية) و(صحيح البخاري):

في (دمشق) توسَّعت دوائر علاقات الأمير بشيوخ التَّصوُّف، كما أتيح له في هذه الفترة دراسة كتب الشَّيخ محي الدِّين ابن عربي، الَّتي لم يطَّلع عليها من قبل، وكلما ازداد عكوفاً عليها ازداد شغفاً بها، وازدادت العلاقة الرُّوحية بينه وبين الشَّيخ[48]، حتى أصبح أشهر متكلِّم باسم ابن عربي في الشَّام، حتى إنه بعث عالِمَين من أصحابه على نفقته، لمقابلة نسخة (الفتوحات المكيَّة) التي في (قونية)[49] واعتنى بها، فجمع في دروسه بين تدريس صحيح البخاري والفتوحات المكية، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "وننصح القارىء الحصيف بأن يستنتج من إقامة الأمير في دمشق، بأنَّه كان أقوى رمز دينيٍّ فيها جمع بين تدريس (صحيح البخاري) و(الفتوحات المكيَّة) لابن عربي، وأحاط به جمع من كبار علماء الشَّام، بيروت ودمشق وما جاورهما، اعترفوا بفضله وعلوِّ نسبه الحسنيّ، وافتخروا بصداقته كمجاهد استثنائيٍّ، ومؤمن مثاليٍّ، وفقيه صوفيٍّ، ومفكِّر تنويريٍّ، لعلاقته المتميِّزة بكل إبداعات القرن التَّاسع عشر.."[50].

وهكذا فقد ظهرت ثمرات سلوكه الصُّوفيّ في دمشق، فالتفَّ حوله جماعة من أهل العلم والصَّلاح، وإنَّ المتتبِّع لسيرة حياة الأمير عبد القادر، يرى أنَّ نواة التَّصوُّف زرعت في تربة شخصيَّته منذ نعومة أظفاره، لكنَّه اشتهر في الجزائر ببطولاته، وحمل إذ ذاك لواء الجهاد ضد المستعمر الفرنسيّ، ولقد كان يعيش التَّصوُّف حينها، وإن لم يكن متفرِّغاً لعلوم القوم، لذا نجده في أشدِّ المعارك محافظاً على ذكره وأوراده وتبتُّله لا ينقطع عنها أبداً، لكنْ يمكننا القول: إنَّ دمشق كانت التُّربة الخصبة لظهور ثمرة تصوُّف الأمير فكراً وعلماً، بعد أن كانت تلك الثَّمرة حالاً عاشها في الجزائر.

3- حلُّ المشكلاتِ الاجتماعيَّة:

من مواقف الأمير المشهورة: موقفه من قضيَّة المدرسة الأشرفيَّة[51]، وملخَّصها: أن رجلاً من الرُّوم يدعى "بانكو" استولى على دار تابعة للمدرسة المذكورة، ثمَّ امتدَّت يده إلى الزَّاوية الغربيّة من المسجد واقتطعها منه، وأعدَّها لوضع دنان الخمر، فقام عليه الشَّيخ يوسف المغربي (ت: 1279هـ)[52]" وتوجَّه إلى الأستانة، وحصل على مرسوم سلطانيّ بإخلاء الدَّار منه، وفي الأستانة اجتمع الشَّيخ يوسف بالأمير، وشرح له قضيّة المدرسة الأشرفيّة، فلمّا رجع الأمير إلى دمشق وشاهد الأمر كما ذكر له، أحضر الرّومي واشترى منه ما

---

[47] انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 811).

[48] انظر: مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر ، (ص/ 227، 228).

[49] في سنة 1288هـ، أرسل الأمير عبد القادر نسخة من الفتوحات المكية مع الشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ محمد الطيب ابن الشيخ محمد المبارك المغربي إلى مدينة قونية، في تركيا، لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ محي الدين ابن عربي، وبعد تصحيحها عادا إلى دمشق، ثم قرأها الأمير في داره على بعض الخواص من العلماء. انظر: أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 82).

[50] بكري علاء الدين في مقدمة تحقيقه لكتاب المواقف، (ص/ 30).

[51] المدرسة الأشرفية: جوار باب القلعة الشرقي في دمشق، غربي العصرونية، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً للأمير صارم الدين قايماز، وله بها حمام، فاشترى ذلك الملكُ الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل، وبناها دار حديث، وأخرب الحمام وبناه سكناً للشيخ المدرس بها، وفيها أمر الملك الأشرف بعمل دار الأمير قايماز دار حديث فتمت في سنتين، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين بن الصلاح، ووقف عليها الملك الأشرف الأوقاف، وجعل بها نعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، (1/ 15).

[52] وهو والد الشيخ بدر الدين الحسني، من سادة أهل المغرب، انتقل من مراكش إلى مصر، ودخل الجامع الأزهر، ثم قدم دمشق، فأخذ عن الشيخ حسن العطار، والعلامة الصاوي والفضالي وغيرهم، واستجاز من المحدث عبد الرحمن الكزبري، من مؤلفاته: شرحه على مولد الدردير، ونظم درة الغواص للحريري، وغيرها، من تلاميذه: الشيخ أحمد ابن عابدين، وولده أبو الخير عابدين، وعبد الرزاق البيطار، وغيرهم، توفي سنة 1279هـ، ودفن في تربة باب الصغير. انظر: البيطار، حلية البشر، (1602/1).

استولى عليه، ثمّ أوقف الدّار على الشّيخ يوسف وذريّته، وذلك في 2جمادى الأولى 1272هـ، وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته، وقرأ فيها يوم افتتاحها صحيح البخاريّ بعد صلاة الظّهر إلى العصر، وختمه في آخر يوم من شهر رمضان[53].

4- إخماد نار فتنة دمشق[54]:

لقد شارك الأمير في حل النّزاعات الكبيرة في المجتمع الدّمشقي، وأهمّها: حادثة السّتين (1276هـ- 1860م)، أو فتنة دمشق، التي بدأت في جبل لبنان بين الدّروز والنّصارى، ثمّ سرى سمّها إلى دمشق، وإنّ النّاظر والمتفحّص في تاريخ الأمير عبد القادر يخرج بحقيقة واضحة: هي إيمانه بالإنسان، وما يمكن أن يقدّمه للإنسانية، إذ يشهد التّاريخ له بمخاطرته بحياته وموقفه الشّجاع في هذه الفتنة التي كثر فيها اللّغط، فعلم الأمير أنّ العاقبة ستكون وخيمة إذا وقع في دمشق نظير ما وقع في لبنان، لأنّه سيكون ذريعة أمام الفرنسيّين لخراب البلاد، فسعى في إخماد هذه الفتنة التي قال في بدايتها: "أحذِّركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيباً، أو أن يكون له إلى نفوسكم سبيلاً"[55].ولما قويت بواعث الفتنة وكثر الهرج والمرج، ولم يستجب الغوغاء لنصائح الأمير، ويئس من رجوعهم عن غيّهم، أخذ ينقذ من النّصارى من يصل إليه ويتمكّن من إنقاذه.

واستقصى المغاربة بأمر الأمير في جمع النّصارى من الكنائس والأقبية، وداخل البيوت الملتهبة بالنّار.

" واستمرّت الفتنة قائمة، ونارها موقدة، أربعة عشرة يوماً، كلّ ذلك والأمير مشتغل بأخذ الوسائل؛ ليتوصل إلى إطفائها، باذلاً جهده في حسم أسبابها، ولم يدخل إلى بيته في أيّامها؛ بل كان يجلس على سجّادة في دهليزه، لا يهجع من اللّيل إلا قليلاً.... "[56].

وشاركه في موقفه وأعماله في صدّ الفتنة كثير من أعيان دمشق؛ مثل الشّيخ محمود حمزة (ت: 1887م) [57] مفتي دمشق، وآل العابد وآل المهايني وغيرهم، وبلغ عدد الذين أنقذهم الأمير من القتل والعذاب ممن التجؤوا إلى داره نحواً من خمسة عشر ألف شخص، من القناصل وأعيان النّصارى والرّهبان والرّاهبات، ولمّا ضاقت بهم داره بعث بقسم منهم إلى قلعة المدينة، كما احتمى بحيّ السّويقة وبخان المغاربة نصارى الميدان[58]، وكان نتيجة ذلك مقتل عدد من المغاربة هناك، كان بينهم فضلاء رفقاء الأمير في جهاده، ممّن هاجروا معه من الجزائر. وكتب الأمير بعد الفتنة معبّراً عن سبب موقفه النّبيل الذي فسّره الناس تفسيرات مختلفة يخاطب ملكة بريطانية: "إنّني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الدّين ولوازم الإنسانيّة"، وقد منحته الدّول الأوربيّة الأوسمة الفخريّة، وكلها من المرتبة الأولى[59].وبعد ذلك استطاع الأمير عبد القادر أن يستريح، "فقد أنقذ خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشّرقية من الموت، بل ممّا هو أسوأ من الموت بشجاعته النّادرة، ونشاطه الذي لا يكلّ، وحماسه المتحرّر، فكلّ ممثّلي الدّول المسيحيّة الذين كانوا يقيمون عندئذ في دمشق، مدينون بدون استثناء لعبد القادر بحياتهم"[60].

---

[53] انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 811). وانظر: الأمير أحمد، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 79).

[54] المعروفة وقتها باسم (طوشة النصارى). انظر: الأمير أحمد، سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 80). وانظر تفاصيل هذه الفتنة وأسبابها وتدخل الأمير عبد القادر لحلها: هنري تشرتشل، حياة الأمير عبد القادر، (274- 285).

[55] انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 795).

[56] محمد باشا: تحفة الزائر، (2/ 94).

[57] محمود بن محمد نسيب، (ت: 1887م)، نابغة الشام ومفتيها، أخذ عن أجلاء علماء دمشق، فحضر عند الشيخ سعيد الحلبي، وحضر على المحدث عبد الرحمن الكزبري، وعلى الشيخ عمر الآمدي وغيرهم، تولى النيابات الشرعية في محكمة (البزورية)، ثم في محكمة (السنانية)، ومحكمة (الباب الكبرى)، كما عين مديراً لأوقاف الشام، وتقلب في المناصب حتى تولى إفتاء الشام سنة: 1284هـ، من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة واسمه (دار الأسرار)، و الفتاوى والنظم، والفتاوى الحمزاوية، وغيرها. انظر: الحافظ وأباظة، تاريخ علماء دمشق، (1/ 51).

[58] يحدثنا تشرتشل عن ذلك فيقول: " وحاول عبد القادر أن يهدىء روع المتوسلين ويكفكف دموعهم، فتعهد لهم بالأمن وعرض أن يذهب معهم شخصياً إلى القلعة، وقال: إنه مادام حياً لن تمس منهم شعرة من رؤوسهم..." حياة الأمير عبد القادر، (ص/ 284).

[59] فنال وسام الجوقة الفرنسي ووسام صليب السفير الروسي ووسام السفير الأسود البروسي ووسام صليب المخلص اليوناني وأهدته ملكة بريطانية بندقية مرصعة بالذهب. انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 797).

[60] تشرتشل: حياة الأمير عبد القادر، (ص/ 286).

وفاتُه:

توفّي الأمير في التّاسع من رجب سنة ثلاثمئة وألف. في قصره في دمّر، وصلّي عليه في جامع بني أميّة، واجتمعت الآراء على دفنه بجوار مقام الشّيخ محي الدّين بن عربي وفي سنة 1388هـ، 1968م، رغبت حكومة الجزائر وبعد سبع سنوات من استقلالها، بنقل رفات الأمير إلى الجزائر، فتمّ ذلك في احتفال رسميّ مهيب[61]، وسار الموكب المهيب في شوارع دمشق، وراء النّعش الملفوف بالعلم الجزائري، على عربة مدفع، وعندما هبطت الطّائرة التي تقلّه في مطار مدينة الجزائر، كان الملايين من الشّعب الجزائريّ بانتظارها[62]، وقد رثاه كثير من العلماء والأعلام والشّعراء والأدباء[63].

" وبالجملة فقد جمع الله له بين الشّرف والعلم الظّاهر والباطن والمعرفة والتّقوى والجمال والغنى والكرم، والشّجاعة والقوّة والفروسيّة، وكمال العقل والتّأنّي في الأمور، والحظّ الوافر والجاه العظيم"[64].

الخاتمة:

بعد تمام البحث ظهرت النتائج الآتية:

- الأمير عبد القادر الجزائري صوفي تلقى السند الصوفي للطريقتين النقشبندية والشاذلية.
- برزت شخصية الأمير الصوفية في دمشق.
- أثر الأمير عبد القادر في المجتمع الدمشقي من الناحية الفكرية والاجتماعية.
- ساهم الأمير في حل المشاكل الاجتماعية، وفي إخماد فتنة دمشق.
- استطاع الأمير عبد القادر الجزائري إدراج الفكر الصوفي في مجالسه العلمية بطريقة لاقت قبول المجتمع وتشجيعه، في سبيل الحصول على مجتمع إسلامي يقوم على أساس مكين من العلم والأخلاق.
- قدم الأمير عبد القادر الجزائري نموذجاً حياً للتسامح والتعايش في المجتمع الدمشقي، في حماية مسيحيي دمشق، في الوقت الذي حارب فيه الاستعمار الفرنسي في بلاده لمدة طويلة، ليؤكد أن المشكلة مع المستعمر ليست مشكلة دين؛ إذ لا إكراه فيه، بل المشكلة في احتلال الأرض واغتصاب الحقوق.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

[61] انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 817).
[62] انظر: بديعة الجزائري، ناصر الدين، (ص/ 193).
[63] منهم محمد إسحق أفندي الطرابلسي، وحسن أفندي بيهم البيروتي، ومحمد أفندي الهلالي الحموي، وعمر أفندي البربير. انظر: الحافظ وأباظة، أعيان دمشق، (2/ 813).
[64] أحمد الجزائري: سيرة الأمير عبد القادر، (ص/ 83).

المراجع:

1. أحمد الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار طيبة/ دمشق، ط1/2017م.
2. بديعة الحسني، (1992)، ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين (سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر)، دار سلام/ دمشق.
3. البيطار (عبد الرزاق بن حسن، ت:1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجت البيطار، دار/صادر، بيروت، ط2/ 1413هـ.
4. جواد المرابط، التَّصوُّف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري، دار اليقظة العربية/ دمشق، ط1966م، د(ط).
5. حسن زكي الصواف، الجامع الأموي درة دمشق، دار غار حراء/ دمشق، ط1.
6. خالد أبو هريرة، عبد القادر الجزائري (ما أفسده العثمانيون في دمشق يصلحه الأمير)، مقال على موقع: https://www.turkeynow.news/
7. الخاني، عبد المجيد، الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، تحقيق: محمد خالد الخرسة، دار البيروتي/ دمشق، د(ط.ت).
8. الزّركلي (خير الدين بن محمود، ت:1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين/بيروت، ط15/ 2002م.
9. زروق، أحمد بن محمد، قواعد التصوف. تحقيق: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة.
10. شارل هنري تشرتشل، حياة الأمير عبد القادر، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، د(ط).
11. الطوسي، أبو نصر، عبد الله بن علي، (1914)، اللمع في التصوف، تحقيق: رونالد آلننيكلسون، دار بريل/ ليدن.
12. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية/ بيروت، ط2/ 1400هـ.
13. عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر: نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف/ القاهرة، ط5/ د(ت).
14. عبد الباقي مفتاح، بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1.
15. عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، مجلة مسالك، رقم 5.
16. عبد القادر الجزائري، المواقف، تحقيق: بكري علاء الدين، دار نينوى/ دمشق.
17. عبد الله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان/الرباط، ط4/2003م.
18. عبد الوهاب بن أحمد بن علي، ت:973هـ، الطبقات الكبرى: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه/مصر، ط 1315هـ، د(ط).
19. أبو القاسم القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف/ القاهرة، د/ط.
20. الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية/ بيروت، د/ط.
21. الكوهن (الحسن بن محمد، ت: 1347هـ)، طبقات الشاذلية الكبرى، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط2/ 2005م.

22. أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1.
23. محمد الطنطاوي، (1991)، الجامع الأموي في دمشق، وصف وتأريخ، دار المنارة/ جدة، ط1.
24. محمد باشا بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية/ الإسكندرية، د/ط.
25. محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، د(ط.ت).
26. محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة، (1986)، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، دار الفكر/ دمشق، ط1.
27. محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة،(1991)، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، دار الفكر، دمشق، ط1.
28. النبهاني (يوسف بن إسماعيل، ت:1350هـ)، جامع كرامات الأولياء، تحقيق: إبراهيم عوض، المكتبة الثقافية/ بيروت، ط/1991م.
29. النعيمي، عبد القادر بن محمد، (1990)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1.
30. أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف، دار الثقافة/ القاهرة، ط/3.
31. يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق (1186–1256هـ)، دار طلاس/ دمشق، د(ط.ت).